مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد: 04 العدد: 02 سبتمبر 2021 ص ص: 435-448
ر ت م د (ISSN): 2602-618X / ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

الحضور اليهودي بالمغرب الأوسط وانعكاساته الحضارية

7-9هـ/13-16م "يهود الأندلس أنموذجا"

The Jewish Presence in the central Maghreb and its Civilizational Reflections during 07th-09th H/ 13th-16thAD

(The Jews of Andalusia as a Model)

سميرة نميش♦

جامعة خنشلة nemmichesamira78@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/05/10	تاريخ القبول: 2021/05/30	تاريخ النشر: 2021/09/30

الملخص باللغة العربية:

عرفت بلاد المغرب الإسلامي توافد العديد من الأجناس والفئات البشرية المختلفة، ومن بينهم اليهود الذين سكنوا مختلف الحواضر المغربية ومارسوا حياتهم الطبيعة وفق ما تمليه عليهم الشريعة الإسلامية، فأسهموا في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية، الاجتماعية والثقافية؛ فتعددت مواهبهم وتنوعت داخل المجتمع المغربي خاصة يهود الأندلس الذين هاجروا نتيجة الاضطهاد المسيحي بعد سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين، فنزلوا بالمغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة.

من خلال هذا الموضوع نسعى لدراسة واقع تواجد يهود الأندلس بالمغرب الأوسط بين الواقع الاجتماعي والتنظير الشرعي، كما نبين أهم الآثار والانعكاسات الحضارية والفكرية.

الكلمات المفتاحية: اليهود؛ يهود الأندلس؛ المغرب الأوسط؛ المغرب الإسلامي؛ الإنعكاسات الحضارية.

Abstract: The Jews are one of many different groups who settled in Maghreb. They lived ordinarily in various cities as required by the Islamic law, and they were politically, economically, socially, and culturally distinguished due to their skills. The Jews of Andalusia particularly migrated because of the

♦ المؤلف المرسل

Christian persecution especially after the fall of Granada, the last Muslim stronghold at Andalusia.

Through this topic, we seek to study the reality of the presence of the Jews of Andalusia in the Middle Maghreb between social reality and legal theory, as well as the most important civilizational reflections and intellectual consequences.

Keywords: The Jews; The Jews of Andalusia; The Middle Maghreb; The Islamic Maghreb; the civilizational reflections.

مقدمة:

شهدت بلاد المغرب الأوسط هجرات متتالية وتوافد العديد من الأجناس إليها من مختلف بقاع العالم، للتوسع والتجارة أو بحثا عن الأمن والأمان، فكانت طبقة اليهود من الفئات التي ظهرت بالمنطقة بداية من العهود القديمة؛ إذ ظهر يهود الأندلس بمختلف مناطق بلدان المغرب الإسلامي خاصة المغرب الأوسط، وسعوا إلى الإنصهار داخل المجتمع المغربي لتجسيد نمط حياتهم العامة بعيدا عن الإضطهاد المسيحي خاصة بعد سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين بالأندلس؛ فهل كان للحضور اليهودي أثر على المجتمع المغربي؟ وفيما تمثلت أهم الإنعكاسات و الآثار الحضارية ليهود الأندلس بالمغرب الأوسط ؟

1- الهجرات اليهودية:

تؤكّد المصادر والدراسات التاريخية بأنّ الحضور اليهودي ببلاد المغرب لم يكن دفعة واحدة، وإنّما كان عبر مراحل تاريخية مختلفة، نتيجة لأسباب وعوامل إيديولوجية متغيّرة، حاملين معهم فكرة نشر الديانة اليهودية والتعريف بها.

1.1- التواجد اليهودي بالمغرب الإسلامي:

ظهر اليهود ببلاد المغرب القديم، وتوافدوا على منطقة الشمال الإفريقي وفق فترات وأزمنة مختلفة؛ إذ يرجعها البعض إلى العهد الفينيقي ذو الطابع التجاري، في حين يرى بعض المؤرخين بأن وجود اليهود بالمنطقة يعود إلى فترات أقدم من ذلك[1]؛ إذ

1 وهيبة بونداوي، اليهود في بلاد المغرب في العصور القديمة 814ق.م .146ق.م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر ، 2012.2010م. ، ص71.

هاجروا إلى مصر ثمّ بلاد الشمال الإفريقي[1] بما فيها بلاد المغرب والأندلس، لنشر ديانتهم اليهودية وقد ساعدتهم سياستهم في التأثير ببعض قبائل المجتمع المغربي وإقناعهم كما حدث في مناطق أخرى من بقاع العالم، الأمر الذي ساعدهم على تضاعف عددهم، وكان "**سفريونان**" من أشهر الرواد اليهود الذي أجزم بأنّ تعاليم الدين اليهودي أقرب إلى العرب والبربر من الشعوب الأخرى، ويعتبر ابن خلدون أنّ الجذور البربرية تعود إل كنعان بن حام بن نوح الذين اعتنقوا المسيحية عن بني إسرائيل بعدما استفحل ملكهم وسلطانهم[2]، في حين أنّ الزعفراني ينفي انتساب يهود المغرب إلى البربر و يذكر بأنّهم أول مجموعة غير أمازيغية سكنت المنطقة[3].

رغم الاختلاف وتضارب الآراء إلا أنّ الإسطوغرافية التاريخية تربط الحضور اليهودي بالمنطقة إلى العهد الفينيقي ذات النمط التجاري[4]، ثمّ العهد الروماني أين انتشروا بالمناطق الساحيلة والداخلية لكنّهم شهدوا نوعا من الإضطهاد والتعسف وفرضت عليهم الديانة المسيحية للحصول على حق المواطنة[5]، وظلّوا على ذلك الحال إلى القرن الخامس ميلادي فترة حكم الوندال الذين استعانوا بهم في معاركم مع الرومان الأمر الذي أهّلهم للإنصهار في المجتمع المغربي وممارسة طقوسهم ومعتقداتهم بحرية[6]، وباعتلاء جستنيان السلطة أثناء الحكم البيزنطي عمل جاهدا على إعادة أمجاد الكنيسة الكاثوليكية، الأمر الذي دفع باليهود لضرورة الإندماج في البربر خوفا من الإضطهاد والتعسف، إلاّ أنّ القسطنطين الرابع سنّ قانون الوئام بين سكّان الشمال الإفريقي وبيزنطا فتمّ التحالف وأصبح الدين المسيحي دينا ومعتقدا بعيدا عن المنهج السياسي.

---

1 فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق ل1514 ميلادي، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص15.

2 عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج6، ص109.

3 حاييم الزعفراني، يهود الأندلس والمغرب، تر: أحمد شحلان، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ج1، 2000، ص25.

4 عبد الرحمان بشير،اليهود في المغرب العربي (22. 462ه/1070.642م)، دار تابرينت للطباعة، ط1، 2001، ص53.

5 رضوان البارودي، دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2007، ص175.

6 ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط2، ج2، 1984، ص95.

وظلّ الحضور اليهودي ببلاد المغرب بين مد وجزر خاصة بعد الفتح الإسلامي للمنطقة، كما حدث معهم في فترة حكم المرابطين إذ عرفوا نوعا من التغيرات فشهدوا الإضطهاد والقهر في بداية تاسيس الحكم المرابطي، أمّا فيما بعد تعايشوا مع سياسة التسامح واللّين لدرجة توفير أحياء خاصة بهم تحوي جميع المرافق الضرورية للعيش شرط عدم الإختلاط مع المسلمين في المعاملات الدينية والتجارية[1]، في حين أن فترة حكم الموحدين شهدت نوعا من الصرامة مع اليهود خاصة وأنّهم كانوا يدعون إلى الإعتماد على العقل في الوصول إلى التوحيد والعبادة الصحيحة وهذا يتنافى مع عقيدة ابن تومرت، الأمر الذي جعل العائلات اليهودية تبحث عن منفذ ومخرج بهدف الإستقرار[2].

في 15صفر609ه/1212م انهزم الموحدون أمام جيش النصارى وانقسمت بلاد المغرب الإسلامي إلى ثلاث دويلات انشغل سلاطينها بتنظيم الشؤون الداخلية، أمّا الجماعات اليهودية فأوكلت مهمة تنظيمها إلى مشايخها خاصة النكيد المسؤول الأول عن المجتمع اليهودي[3].

2.1- يهود الأندلس بالمغرب الأوسط:

سكن اليهود بلاد المغرب الإسلامي بما فيها الأندلس التي تعايشوا بها وفق مبدأ التسامح الديني، خاصة بعد وقوفهم إلى جانب الفاتحين في الحروب والمعارك فاكتسبوا ثقة المسلمين وتمتعوا بحقوقهم وفق ماتمليه عليهم الشريعة الإسلامية ومبادئ أهل الذمة، فمارسوا أمورهم الحياتية وبرعوا في مختلف المجالات السياسية والإقتصادية، الإجتماعية والثقافية، كما تمكنوا من تأسيس علاقات مع مسلمي المغرب الإسلامي عامة والأندلس خاصة، فتربعوا على كرسي الحبرانية والمشيخة وتحسنت أحوالهم، وأصبحوا يتمتعون بوافر من السلم والأمان ببلاد الأندلس[4]، لكن سرعان ماتغيرت حياة الطمأنينة

1 القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص 108.

2 سميرة نميش، أهل الذمّة ودورهم الحضاري بالمغربين الأدنى والأقصى (6-10ه/ 12-16م)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2017-2018، ص ص 47-48.

3 الحسن الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص113.

4 الحسن الوزان، المصدر السابق، ص ص 31-32.

إلى خوف وذعر نتيجة المضايقات التي شهدها اليهود من طرف المسيحيين بحجة التقرب من الله[1].

شنّ النصارى حملة عدائية ضدّ المسلمين من جهة واليهود من جهة أخرى؛ إذ حملت كل أنواع العذاب والعقاب من حرق وتقتيل وتهجير بداية من سنة 794ه/1391م، حيث أجبر المسلمين واليهود على حد السواء على التدين واعتناق الدين النصراني، الأمر الذي دفعهم للهجرة بحثا عن الإستقرار والأمان، خاصة بعد التحالف الكاثوليكي بين الملكة ايزابيلا و الملك الكاثوليكي فريدينالد اللذان كان يهدفان إلى تشكيل قوة مسيحية لضرب الإسلام والمسلمين[2]، وقد عمل الملكان على إصدار مرسوم في 30مارس 1494م/898هـ لنفي اليهود والسماح لهم بالهجرة إلى مختلف بقاع العالم حاملين معهم أمتعتهم وصكوك المعاملات الخاصة بهم دون المستحقات المادية خاصة الذهب والفضة[3]، ولم يتمكن أحبار اليهود وكبار الشخصيات من إقناع الملكين بالعدول عن المرسوم الّذي جردهم من حقوقهم.

إنّ السياسة التعسفية التي مارسها النصارى ضدّ اليهود خاصّة بعد تحويل المعابد اليهودية إلى معابد وكنائس، والمقابر إلى أماكن لرعي الغنم وأنواع الحيوانات، لم يبقى أمام اليهود إلّا التّنصّر واعتناق المسيحية، كما اضطر البعض إلى ممارسة معتقداتهم بسرية[4]، خوفا من الضغوطات والأساليب التعسفية التي كانت تمارسها محاكم التفتيش عليهم، وذلك بتطبيق عقوبات صارمة عليهم كالسجن والحرق والتعذيب ومنعهم من العودة إلى اليهودية مجدّدا كما صودرت أموالهم وممتلكاتهم[5].

إنّ السياسة التعسفية التي مارستها الكاثوليكية على مختلف الملل والنحل ببلاد الأندلس كان لها أثر واضح على اليهود خاصة بعد قرار الطرد والعقوبات الصارمة التي فرضتها عليهم محاكم التفتيش، الأمر الذي دفعهم إلى الهجرة إلى مختلف بقاع العالم عامة والمغرب الإسلامي خاصة، فكانت منطقة المغرب الأوسط واحدة من سبل الخلاص التي

1 طعيمة صابر، التاريخ اليهودي العام، دار الجيل، بيروت، ج2، ط3، 1997، 52.

2 هدى درويش، أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس .دراسة عن اليهود المارنوس، عين للدراسات الإنسانية والإجتماعية، الجيزة، ط1، 2008، ص40.

3 نفسه، ص41

4 نفسه، ص42

5 عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج 3، ط3، دار الشروق، القاهرة، 1989، ص 86؛ هدي درويش، المرجع السابق، ص47.

توجّهوا إليها؛ إذ نزلوا بمختلف الموانئ بداية من ميناء وهران وتنس ومستغانم وصولا إلى بجاية وغيرها[1].

سكن اليهود الجزائر والعشير وبسكرة وبجاية وحامد وحنين والقلعة ومجانة ومسيلة ومستغانم ميزاب وهران وورقلة تبلاط وتيارت تلمسان التي أطلق عليها قدس الغرب ، وأيضا منطقة الصحراء إذ استقروا بتوات ومارسوا البناء والزراعة وتربية المواشي، لقي اليهود أنسهم بتلمسان الزيانية نتيجة لسياسة التسامح واللين التي عرف بها سلاطينها فمارسوا حياتهم الطبيعية واشتهروا في المجال الاقتصادي والتجاري كمابرز ثلّة من علمائهم وأحبارهم.

2- الإنعكاسات الحضارية ليهود الأندلس بين الواقع الإجتماعي والتنظير الشرعي:

إنّ الهجرات المتتالية ليهود الأندلس إلى بلاد المغرب الأوسط مكّنتهم من الإستقرار والإندماج داخل المجتمع المغربي، خاصّة بعد بروز مجموعة من العلماء الذين كان لهم دور في تنظيم الجماعات اليهودية والمحافظة على معتقداتهم، فحضور يهود الأندلس في المغرب الأوسط ظلّ محصورا بين الواقع الإجتماعي والتنظير الشرعي.

1.2- الواقع الإجتماعي ليهود الأندلس بالمغرب الأوسط:

عمل يهود الأندلس بالمغرب الأوسط منذ الوهلة الأولى على محاولة الإنصهار والإندماج داخل المجتمع الزيّاني الّذي يتميّز بظاهرة الإحتواء والتفاهم مع مختلف الملل، كيف لا وأسلوب اللين والسماحة من شيم المسلمين، الأمر الّذي أدّى إلى بروز ثلّة من اليهود الّذين عملوا على تنظيم الجماعات اليهودية بالمنطقة.

إنّ ظهور يهود الأندلس بالمغرب الأوسط أدّي إلى ظهور طبقتين متمايزتين، طبقة الأهالي(Tochabim) وهم اليهود المحليّين، وطبقة اليهود المطرودين(Megorachim) الّذين تلقّوا معاملة طيبة نتيجة للتفوق العلمي الذيميّزهم عن غيرهم من أبناء ملّتهم، الأمر الّذي دفع اليهود الجدد إلى اكتساب نظرة التعالي على إخوانهم الّذين كانوا يعتقدون بأنّ يهود الأندلس متأثّرين بالثقافة المسيحية والنصرانية، الأمر الّذي أدّى إلى الإختلاف معهم من حيث اللغة والمذهب والعادات والمفاهيم الإجتماعية والمنافسة الاقتصادية التي نتج عنها نزاع، اضطّر اليهود القدامي إلي رفع شكوى استنادا لما ذكره الحاخام " سيمون بن سماح دوران" في ردّه على يهود الأهالي: " كنتم تعيشون في الرخاء بفضل علاقاتكم مع

1 بن دواد حفيظة، قدور وهراني، هجرة يهود الأندلس إلى المغرب الأوسط، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا، مجلد1، عدد1، جانفي 2018، ص 111.

العرب الذين كانوا بحاجة إلى صناعاتكم، وكانوا يقدمون لكم أموالا كنتم تستفيدون منها في تجاراتكم وتلبية حاجاتكم لكن بعد قدوم اللاجئين لمدينتكم برؤوس أموال التي مكنتهم من التفوق عليكم فضّلهم العرب عنكم لأنهم وجدوا عندهم ماهم بحاجة إليه..."[1]

فمن خلال قوله يتبين لنا أن اليهود المهاجرين كانوا يتمتعون بحس فكري ومكانة عالية جعلتهم محل اهتمام الحكام، فحث الحاخام على ضرورة التعاون فيما بينهم والحفاظ على الروابط الأخوية مع تجنب الصراع والنزاع .

وعمل يهود الأندلس على تنظيم الطقوس الدينية وتوحيدها والقضاء على شدة التباينات الناجمة على اختلاف أصول مختلف التجمعات اليهودية، فتمكّنوا من خلق منصب الناجد الذي يسهر على تسيير النظام القضائي الداخلي ويعمل على ممارسةالطقوس والشعائر والأعياد الدينية الخاصة باليهود[2]، وبرز الحاخامين " ريباش وراشباش" اللذان اقاما نظاما الحلخة[3].

إنّ الدور الّذي قام به يهود الأندلس أدّى بهم إلى التفوق في الجانب الفكري والثقافي، فبرز الحبر افرايم بن اسرائيل عنقاوة الذي اشتهر باالدراسات التلموذية، وبرع في الطب حتّى ذاع صيته ووصلت أخباره إلى سلاطين الدولة الزيانية، فتذكر الكتابات التاريخية على أنّه له الفضل في انتقال اليهود من خارج أسوار المدينة بحي اكادير الى داحل تاقرارت بالقرب من المشور[4]. وبرز الطبيب موسي بن صموئيل بن يهودا الاسرائيلي المالقي الأندلسي الذي يعرف بابن الأشقر[5].

وقد كان ليهود الأندلس دور في ازدهار الصناعة المعدنية الثمينة خاصة الذهب والفضة، فامتهنوا صناعة النحاس الذي هيّؤوا منه الشمعذان رمز القداسة في الحياة اليهودية، كما اهتمّوا بحياكة الملابس والصناعات الحريرية واحترفوا دباغة الجلود وصناعتها التي خصّ جزء منها لصناعة الورق، كماأ حدثوا في المغرب الأوسط صناعة

1 فاطيمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 236

2 فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1996، ص77.

3 سميرة نميش، دور أهل الذمة في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني(7-10ه/13-16م)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2013-2014، ص52.

4 عبد لعزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، ص194

5عبد الباسط بن خليل، رحلة عبد الباسط بن خليل، نشرها للعربية روبرت برونشفيك، باريس، 1936، ص45

السلال التي كانت لها مكانة في النقل البحري[1]، وبرعوا أيضا في صناعة الأدوية والمجال الطبّي، فالدّور الفعّال الذي قام به يهود الأندلس بصفة عامة ويهود الأهالي بصفة خاصة مكّنهم من اكتساب مكانة هامة في المجتمع الزيانى جعلت السلطة الحاكمة تلجؤ إلى تخفيض الجزية المفروضة عليهم وإعفاء كبار التجار من دفع الرسوم الجمركية[2].

تمكن اليهود من السيطرة على الجانب التجاري الذي يعد من الثوابت المقدسة لديهم؛ إذ يصفها أعلامهم بأنها حضارة السوق وحضارة التاجر[3]، فبرعوا في التجارة الداخلية والخارجية وأضحوا الوسيط بين التجار المسلمين والأوروبيين وتجار الأراغون، فتاجروا في الأسلحة والتوابل واهتموا بتجارة العبيد والحرير. واهتموا أيضا بالتجارة في الأموال والتجزئة . بالرغم من درايتهم في العلاقات التجارية وتوسع نشاطهم الاقتصادي إلا أنّهم كانوا سببا في إحداث اضطراب داخل السوق كما أشار إليه ابن خلدون[4]، وقد كان لتعاملهم الربوي أثر سلبي على التجار المسلمين في الدولة الزيانية[5].

ومن الانعكاسات السلبية التي ترتبت عن اليهود في المغرب الأوسط شيوع ظاهرة القرض الزمني المعروفة بالكمبيالة أو الكمبيو التي استخدمها المسلمون لاسترجاع الأسري من الأراضي النصرانية باللجوء إلى أرباب البنوك اليهودية خاصة أولئك الذين لهم علاقات مع دول أوروبية، فنظام الكمبيالة يستدعي ضرورة وجود اليهودي في تسهيل التعاون والتعامل ويبقي الفرد المغربي مجرد طرف في تحقيق الأغراض السياسية والإقتصادية، فاهتمام اليهود بالبيع والشراء جعل الأسواق المغربية تشهد ظاهرة جديدة في طريقة بيع السلع لم تكن مألوفة سابقا، ألا وهي ظاهرة التجوال والبيع في الشوارع[6] ، وهي من المظاهر المستحدثة والتي غالبا ماكانت ذات طابع سياسي إذ كانت تسعى للجوسسة، ممّا سمح لهم بالتوغّل داخل المجتمع الزيّاني لتمكنهم من معرفة مداخل الدروب ومخارجها، وساعدهم ذلك في التعرف على مختلف الأسر الزيانية إذ فتحت المجال أمام النسوة والفتيات للتّعامل معهم بشكل مباشر عن طريق الشراء وهذا لم يرق لعلماء ومفتي الديار الزيانية الّذين أشاروا إلى مخاطر الظاهرة .

---

1 سميرة نميش، المرجع سابق، ص 54

2 بسام كامل، عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني (633هـ، 962هـ/ 1235م ، 1555م)، رسالة ماجيستار، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2002م، ص192 .

3 نميش سميرة، الرجع سابق، ص59.

4 ابن حلدون، العبر ...، ج2، ص354

5 فاطيمة بوعمامة، المرجع سابق، ص 206.

6 فاطيمة بوعمامة، المرجع سابق، ص206

ان القوة المالية التى تمتع بها يهود الأندلس المطرودين (الميقواراشيم) مكنتهم من السيطرة على التجارة الخارجية برية كانت او بحرية، فتمكّنوا من معرفة المنافذ والطرق التجارية لبلدان المغرب الإسلامي عامة، والمغرب الأوسط خاصة. أهّلها ذلك لبسط قوتها على التجارة الداخلية والخارجية وسمحت لهم بذلك إلى تطوير التجارة الصحراوية خاصة تجارة الذهب والمعادن الثمينة[1].

إنّ اتقان اليهود للغات العالم المتعددة أثّرت إيجابا وسلبا على مجتمع المغرب الأوسط، فهم بمثابة الوسيط في التعاملات الاقتصادية مع الدول الأوروبية من خلال عقد اتفاقيات ومعاهدات مع النّصارى؛ إذ شجّع ملوك الأراغون التجار اليهود بداية من القرن 7ه /13 م على التبادل والنشاط التجاري، وذلك بمنحهم امتيازات تجارية خاصة بعد تدهور العلاقات بين المغرب الأوسط ويوحنا الفاتح، الذي طالب بعدم عرقلة اليهود القادمين من ارض ملك تلمسان غلى أراضي مملكة أراغونا للإقامة أو التجارة بها. وقد نعت اليهود باسم مصرف خزينة الملوك[2].

بالرغم من أن هجرة اليهود من الأندلس إلى المغرب الإسلامي وتلمسان، كانت نتيجة لسياسة الإظطهاد والتعذيب من طرف النصارى، إلّا أنّه مع مرور الوقت وخدمة للمصالح الذاتية أصبحوا قناصل ممثلين للملوك المسيحيين في عاصة الزيانيين، فاستخدم الملك ألفونس الثالث اليهودي بن دافي كممثل له وينوب عنه في معظم الأعمال التجارية[3]، وأسهموا أيضا في تفعيل المبادلات التجارية بين مايورقا والأراغون ومرسيليا خاصة مع المدن الساحلية كمدينة مستغانم آنذاك .

إنّ الطابع الحسّي والفن التجاري الذي تمتّع به اليهود أهّلهم للسيطرة على الجانب الاقتصادي، فسيطروا على المجال الحرفي والصنائع النادرة والثمينة بالمغرب الأوسط، كما أنّ حنكتهم التجارية مكّنتهم من الإحتكاك مع التجار من مختلف الجهات، وأكسبهم ذلك حرية التعامل مع اللغات واتقانها الأمر الذي ساعدهم في احتكار السوق داخليا وخارجيا .

---

1 فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص209-210

2 نفسه، ص211

3 عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلاثين الأول والثاني من القرن 14م، منشورات تالة، الجزائر، ط2، 2001، ص24 .

وقد أسهم رجال أعمال اليهود الوافدين من الأندلس على تطوير التجارة عبر الصحراء، خاصة بعد تكثيف المبادلات في حوض البحر الأبيض المتوسط، وجعل أمراء وتجار أوروبا يسعون لتنظيم أسواق وتكثيف المعاملات التجارية ببلاد المغرب بالرغم من الحقد الصليبي الموجه إلى المسلمين، فركزوا خاصة على تجارة الذهب خاصة في المناطق الواقعة على سواحل السودان بالاضافة إلى تجارة الرقيق والتي كان لليهود دور الوسيط فيها خاصة أولئك المقيمين بالمناطق الداخلية والذي كان من شأنهم احتكار الصناعة المعدنية بما فيها الذهب والفضة، فشاركت الجماعات اليهودية تجارة القوافل في الصحراء خاصة في الفترة الممتدة من القرن 8-9هـ /14-15م، واصبح الطريق الرابط بين تلمسان والنيجر من أهم الطرق التجارية، فبرع يهود توات في تجارة القوافل والتي اخذت فيما بعد منحي سياسي أكثر منه إقتصادي نتيجة تدخل حاخامات الجزائر في طبيعة العمل والنشاط التجاري واتخاذ يوم السبت كعطلة تحرم فيها التجارة وهذا يتنافي مع شروط عقد الذمة الذي يستوجب ضرورة التعايش وفق ما تمليه الشريعة الاسلامية؛ إذن فتجارة القوافل استوجبت ضرورة الشراكة بين المسلمين واليهود من جهة واليهود والنصارى من جهة أخرى[1].

إنّ اتقان اليهود للغة العربية وتمكنهم من أساسيات العلوم الشرعية أهلهم للتّوغل في مجتمع المغرب الأوسط، ومعرفة شؤون الحياة اليومية خاصة العادات والتقاليد، كما ساهمت سيطرتهم على القوافل التجارية عبر الصحراء إلى معرفتهم ودرايتهم الواسعة بجغرافية المناطق الشمالية، وهذا ما فتح المجال أمام التوسع النصراني في مناطق حوض البحر المتوسط.

بالرغم من الرخاء المادي الذي شهده اليهود في المجال الاقتصادي إلّا أنّهم لم يتمكّنوا من اعتلاء المناصب السامية في الدولة الزيانية والتي أكسبتهم حقد وضغينة على المسلمين، لكن مع ذلك كانت لهم مساهمات في العلاقات الدبلوماسية فاتقانهم للغات المتعددة أهّلهم لخوص مجال الترجمة فاعتمد عليهم سلاطين بنوا زيان في علاقاتهم مع النصارى من خلال إبرام معاهدات الصلح، مثلما وقع مع السلطان عثمان بن يغمراسن الذي أرسل إبراهام بن جلال سفيرا على مملكة الأراغون 690ه/1291م برفقة الفقيه محمد صبيح لحاكم قشتالة[2].

1 فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص ص 231/229
2 عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص194

وشغل اليهود منصب السفراء عند النصارى فأرسل ألفونسوا الثالث مالك اسبانيا وجاك الثاني ملك الأراغون صموئيل بن جلال وبندافي إلي المغرب الأوسط وغرناطة[1]. وشغل اليهود مجال الجوسسة لحساب النصارى فعملوا على تهجير المسلمين من مايورقة إلى بلاد المغرب خاصة تلمسان بهدف كسب الثقة والحصول على مكانة عند حكام دولة بني زيان، وكان ذلك بتسهيل من ملك الأراغوني الذي هيّأ لهم كل الظروف لضمان حرية تنقلهم والتجارة داخل الأراغون لكن رغم ذلك لم يتمتّعوا بالحرية والاستقلالية التي عرفوها في بلاد المغرب الاسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة[2].

2.2- التنظير الشرعي ليهود الأندلس بالمغرب الأوسط:

إنّ الدرسة التاريخية وأسطوغرافية الواقع الإجتماعي لحضور اليهود المطرودين بالمغرب الأوسط يؤكد بأن هناك تباين واضح بين الواقع الإجتماعي وتواجدهم بالمنطقة من حيث التأثير والتأثر، سواء تعلق الأمر بالإندماج داخل المجتمع الزياني، أو الإنصهار في مختلف الوظائف الحياتية التي أكسبتهم صورة نمطية واضحة المعالم، على عكس الجانب الفقهي الذي ظلّ ينظر إلى اليهود بأنّهم طبقة من طبقات أهل الذمة التي يشترط عليهم العمل وفق الشروط العمرية، وأن لا تتجاوز حد التعامل والعمل وفق شروط أهل الذمة، الأمر الذي استفحلت فيه قوتهم وأعربوا عن نواياهم المدسوسة، هذا ماأدّى إلى ثورة العلماء من مختلف أرجاء المغرب الإسلامي، بداية من العلّامة الشيخ المغيلي.

ان سياسة اللين والتسامح الدّيني التي وجدها اليهود داخل الدولة الزيانية ومبدأ الجوار الذي مكّنهم من ممارسة جل نشاطاتهم الاجتماعية التجارية الاقتصادية وغيرها، هي التي زادت من أطماعهم لاستغلال مكانتهم الاقتصادية وربط علاقات بالتواطؤ مع من يسعون لضرب هرم السلطة الزيانية، خاصة بعد احتكارهم التجارة الصحراوية وانشائهم للبيع وممارستهم للشرائع الدينية بكل حرية. أدّي ذلك إلى تصادم بين الطبقة الحاكمة وطبقة الفقهاء اللذين رفضوا ما آل إليه اليهود من ناحية الامتيازات التي منحت لهم، وعلى رأسهم العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي غادر تلمسان

1 عمر سعيدان، المرجع سابق ص27
2 سميرة نميش، المرجع سابق، ص83

باتجاه منطقة توات[1]، متذمرا من تمادي الأمراء الزيانين في سماحتهم لليهود الذين قويت شوكتهم، وفي هذا الشأن يقول الشاعر:

تلمسان أرض لا تليق بحالنا ولا كن ..... ولكن بلطف الله نسال في القاضا

وكيف يحب المرء أرض يسوسهـــا ..... يهـــود وفجـــار ومن ليس يرتـضي

فالدافع الذي أدي بالمغيلي لمغادرة تلمسان، هو سيطرة اليهود على السياسة والاقتصاد، وظل يخالفهم من خلال كتاباته ورسائله التي وجهها إلى علماء المغرب الاسلامي، فلقيت استحسانا من البعض ورفضا من البعض الآخر[2].

تمتع اليهود في مجتمع المغرب الأوسط خاصة في العهد الزياني بحسن الجوار وسماحة الدين الإسلامي مكّنتهم من ممارسة أمورهم الحياتية دون قيود أو حواجز، فبرعوا في الجانب الإقتصادي والثقافي، وحاولوا التقرب من سلاطين بني زيان لكن ذلك دون جدوى وهذا ما أشارت إليه المصادر والمراجع التاريخية التي نفت إعتلاء اليهود لمناصب سامية بالمغرب الأوسط.

الخاتمة:

إنّ اليهود من الفئات المشكلة للهرم الإجتماعي لمجتمع المغرب الأوسط، فقد تعايشوا مع المسلمين وفق ماتمليه عليهم الشريعة الإسلامية، وتوافدوا على المنطقة عبر فترات وأزمنة مختلفة، فهناك من ظهر بالمغرب الأوسط سعيا منه للتجارة وتحقيق الإكتفاء الذاتي، خاصة وأنّ الموقع الإستراتيجي للمنطقة أسهم وبشكل كبير في استقطاب اليهود إليها، من هاجر إلى بلدان المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة متأثرا بالظروف السياسية وهربا من الإضطهاد والسياسة التعذيبية التي مسّتهم كما حدث مع يهود الأندلس، خاصة بعد التحالف الكاثوليكي بين فريدينالد والملكة أيزابيلا اللّذان أصدرا مرسوم الطرد بحق المسلمين واليهود في الأندلس، فاتخذوا من الهجرة وسيلة للفرار والمحافظة على حياتهم، وسعوا إلى الإنصهار والإندماج داخل المجتمع الزياني؛ إلّا أنّ

1 محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ص9.

2 أحمد بن يحي الونشريسي ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تح: محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ج2، 1981، ص ص 225-229.

الواقع الإجتماعي لليهود بالمغرب الأوسط يثبت الدور الذي قاموا به في مختلف المجالات خاصّة الإقتصادي والإجتماعي كغيرهم من طبقات المجتمع بمافيهم السكّان الأصليين والمهاجرين الأندلسيين، على عكس الجانب الفقهي فالتنظير الشرعي ظلّ ينظر دائما إلى أنّ اليهود هم مجرّد فئة من أهل الذمّة يقتصر العمل والتعامل معهم وفق قواعد ومبادئ أهل الذمّة.

قائمة المراجع:

ابن خليل عبد الباسط ، رحلة عبد الباسط بن خليل، نشرها للعربية روبرت برونشفيك، باريس، 1936.

ابن خلدون عبد الرحمان ، العبر، العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

بوتشيش القادري ، مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

بشير عبد الرحمان ،اليهود في المغرب العربي (22. 462ه/1070.642م)، دار تابرينت للطباعة، ط1، 2001.

البارودي رضوان ، دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2007.

بوعمامة فاطمة ، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق ل 15.14ميلادي، مؤسسة كنوز الحكمة للشنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

بونداوي وهيبة ، اليهود في بلاد المغرب في العصور القديمة 814ق.م . 146ق.م، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2010.2012م.

بن دواد حفيظة، قدور وهراني، هجرة يهود الأندلس إلى المغرب الأوسط، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا، مجلد1، ع1، جانفي 2018.

حركات إبراهيم ، المغرب عبر التاريخ، ج2 ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط 2 ، 1984.

درويش هدى ، أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس . دراسة عن اليهود المارنوس، عين للدراسات الإنسانية والإجتماعية، الجيزة، ط1، 2008.

الزعفراني حاييم ، يهود الأندلس والمغرب، تر: أحمد شحلان، ج1، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2000.

سعيدان عمر ، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلاثين الأول والثاني من القرن 14م، منشورات تالة، الجزائر، ط 2، 2001.

طعيمة صابر، التاريخ اليهودي العام، ج2، دار الجيل، بيروت، ط3، 1997.

فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1996.

فيلالي عبد لعزيز ، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر.

كامل بسام ، عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني (633ه، 962ه/ 1235م ، 1555م)، رسالة ماجيستار، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2002م.

المغيلي محمد بن عبد الكريم ، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968.
المسيري عبد الوهاب ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج 3، دار الشروق، القاهرة، ط1989، 3.
نميش سميرة ، دور أهل الذمة في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني(7-10ه/13-16م)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2013-2014.
نميش سميرة ، أهل الذمّة ودورهم الحضاري بالمغربين الأدنى والأقصى (6-10ه/ 12-16م)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2017-2018.
الونشريسي أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تح: محمد حجي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.
الوزان الحسن ، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.